قال المؤلف -رحمه الله-: الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون فِي النبوة. نُبِّئَ بـ ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وهاجر إلى المدينة.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد؛

فهذا هو الأصل الثالث العظيم من الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره: وهو معرفة نبينا صلى الله عليه وسلم؛ فإن الملكين يسألان الميت في قبره عن نبيه: من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟؛ فلا بد أن ينطوي قلب المؤمن بعلم بين على شخص رسول الله -صلى الله عليه وسلم، ولا ريب أن لنبينا صلى الله عليه وسلم منزلة عظيمة في قلوب المؤمنين كيف لا؟! وهو المفتاح الذي فتح الله تعالى به أعينًا عميًا وقلوبًا غلفًا وآذانًا صمًا، امتن الله ببعثته على أوليائه فقال: {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ }آل عمران؛١٦٤ فحري بنا -معشر المؤمنين- أن نعرف طرفًا من سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم ونحيط بها علمًا؛ فابتدأ الشيخ -رحمه الله- بذكر بعض الجمل العامة عن نبينا صلى الله عليه وسلم؛ فقال: **وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ:** هذا نسبه؛ فلا ريب أن الإنسان إذا أراد أن يعرف أحدًا: أن يُعرِّف به ابتداءًا بنسبه، فأنت إذا لقيت أحدًا وأردت أن تتعرف عليه تقول له: من الأخ؟؛ فيقول: فلان بن فلان الفلاني؛ فربما انتسب إلى قبلته، وربما انتسب إلى بلده؛ فتعرفه بهذه النسبة؛ فهو محمد، وقيل: أنه هو أول من سُمي بهذا الاسم -محمد-، والواقع أن أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم أعلام وأوصاف، كما أن أسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف.

ومعنى قولنا: أعلام وأوصاف: أعلام أي دالة على شخصه وذاته، وأوصاف أي أنها صفات متحققة فيه؛ فأسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف، أعلام: من حيث دلالتها على ذات الله المقدسة سبحانه وبحمده؛ فهو سبحانه الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام العزيز ... إلخ ، كل هذه الأسماء الحسنى تدل على ذات الرب، وهي أيضًا أوصاف ليست مجرد أعلام محضة؛ بل هي تدل على ما تضمنته من معاني، كذلك أيضًا أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم أعلام وأوصاف؛ فهي أعلام لدلالتها على شخص ذلك النبي الكريم، فإذا قيل :محمد أو قيل: أحمد، أو قيل: الحاشر، أو قيل: العاقب، أو غير ذلك من الأسماء التي ثبتت في السنة؛ فهي كلها دالة على ذات ذلك النبي، وهي أيضًا أوصاف: أي أن كل اسم منها يدل على وصف مميز يختلف عن الأوصاف الأخرى؛ فهو صلى الله عليه وسلم محل للحمد؛ فهو يحمد من قِبل الناس لما جُبل عليه من الأخلاق الكريمة والخلال

الحميدة؛ بل هو أحمدهم ؛ولذلك كان أحمد، وهو الحاشر، وهو العاقب كما سمى نفسه صلى الله عليه وسلم، في حين أن أسماء الناس أعلام ولا يلزم أن تكون أوصاف، فربما سمي واحد من الناس صالح، وهو في الحقيقة طالح، وربما سمي أمين، وهو من أسرق الناس، وربما سمي شجاع، وهو من أجبن الناس أليس كذلك؟!، إذن أسماء الناس أعلام ولا يلزم أن تكون أوصافًا، أما أسماء نبينا صلى الله عليه وسلم، فهي أعلام وأوصاف، قل مثل ذلك في أسماء القرآن، وقل مثل ذلك في أسماء القرآن في أسماء القيامة، وطبق عليها هذه القاعدة.

قوله: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: عبد الله أبوه توفي وهو بعدُ حمل؛ فلم يدرك أباه؛ فولد يتيمًا صلى الله عليه وسلم، وكذا أمه توفيت وهو بعد صغير، ودفنت في الأبواء بين مكة والمدينة، وينبغي أن نعلم أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ماتا على جاهلية، عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي ؟ (قَالَ: فِى النَّارِ). فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ فَقَالَ: (إِنَّ أَبِى وَأَبَاكَ فِى النَّارِ)(1)، كما في الصحيح، ولما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالأبواء بين مكة والمدينة -وهو موضع دفنت فيه أم النبي صلى الله عليه وسلم- آمنة بن وهب، استأذن ربه أن يزور قبر أمه؛ فأذن له أن يزور قبرها، ولم يأذن له أن يستغفر لها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه وقام عليه وبكى وأبكى من معه وكانوا أربعمائة، وهذا يدل على عظم أمر الدين والعقيدة يقول الله عز وجل: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة: ١١٣، ١١٤] ، وهذا يدل على أن أعظم رابطة هي رابطة الإيمان، لا تقدم عليها رابطة نسب ولا عشيرة ولا أخوة ولا صداقة؛ فرابطة الدين مقدمة على كل رابطة.

أما عبد المطلب فجده، وهو أشرف العرب في زمانه، وهو الذي حفر بئر زمزم وأعادها؛ فكان سيد العرب وسيد قريش.

قوله: وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ: هاشم جده الأعلى، وهو من قريش، ولا ريب أن نسب نبينا صلى الله عليه وسلم محفوظ معروف منقول إلى عدنان، وأما ما بعد عدنان؛ فإنه لا يثبت، ويكفي للإنسان أن يعرف هذا القدر من نسب النبي صلى الله عليه وسلم: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

قوله: وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ: قريش هي القبيلة العربية المقدمة المفخمة التي مكنها الله تعالى من سدانة البيت، وقد كان البيت في يد قباعة، ثم بعد ذلك حارهم قُصي بن كلاب، وتمكن من البيت واستولى عليه وقسم الرفادة والسقاية ودار الندوة والحج وغير ذلك بين أولاده؛ فكان من نصيب بني هاشم سقاية الحاج؛ فهذه القبيلة قبيلة عربية شريفة، وقد جاء في الحديث: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا

(١) صحيح مسلم (٢٠٣).

مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)[1]؛ فهو خيار من خيار من خيار، فلا شك أن نبينا صلى الله عليه وسلم كغيره من الأنبياء بُعث في نسب من قومه، قال الله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨]، وفي قراءة: {مِنْ أَنْفَسِكُمْ}.

قوله: وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ: وإسماعيل عليه السلام نبي من أنبياء الله، وهو ابن خليل الرحمن إبراهيم.

قوله: ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ: وهذه من حكمة الله البالغة؛ فإن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم عليه السلام أن يضع بعض أهل بيته بواد غير ذي زرع؛ فاحتمل هاجر سُريته ومعها ابنها إسماعيل، ووضعهم في ذلك الوادي لأمر ادخره الله تعالى للبشرية لهذه الأمة في آخر الزمان، وصار عليه الصلاة والسلام يتردد بين هذين الفرعين: بين فرع إسحاق وفرع إسماعيل، وكان الأنبياء من فرع إسحاق؛ فظلت النبوة في بني إسرائيل قرونًا متطاولة، ولم يكن في العرب أنبياء من لدن إسماعيل عليه السلام إلى أن بعث الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ فآل أمر النبوة في فرع إسماعيل ممثلًا بنبينا صلى الله عليه وسلم الرسول الخاتم، وكل هؤلاء ذرية إبراهيم، {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} [الحديد: ٢٦]: يعني في ذرية نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

إذن هذا هو نسب نبينا صلى الله عليه وسلم، وهذه بيئته؛ فقد كان في مكة -أم القرى-، ومحط أفئدة المؤمنين ليس من العرب فقط بل من العالمين، لولا أن أهل الكتاب طمثوا هذه المزية، وإلا فاعلموا أن مكة مذكورة مشهورة في كتب أنبياء بني إسرائيل، وأنه ما من نبي إلا وحج البيت، ما من نبي من أنبياء الله إلا ويعلم أن لمكة مزية وفضلًا، وأنها محل البيت الحرام؛ لكن اليهود والنصارى أخفوا هذه الحقيقة، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، أن أنبياء الله حجوا البيت، حتى قال: (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ مُهْبِطًا لَهُ خُوَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّكْبِيرِ ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةٍ ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ الثَّنِيَّةُ ؟ قَالُوا : ثَنِيَّةُ كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ خِطَامُهَا لِيفٌ وَهُوَ يُلَبِّي ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ صُوفٌ)[2]؛ وكان صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى الحج، وقد بلغ فج الروحاء؛ فقال: (وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا)[3]، وهذا يكون في آخر الزمان عندما ينزل عيسى بن مريم؛ فيحج بيت الله الحرام، وقد جاء في حديث

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٧٦).

(٢) المستدرك للحاكم (٣٣١٣)،وقال هذه حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) صحيح مسلم (١٢٥٢).

حسنه الإمام الألباني -رحمه الله- في فضائل مسجد الخَيف: (أنه صلى فيه سبعون نبيًا)[1]؛ فثقوا تمام الثقة أن هذا البيت الحرام، وهذه المدينة المشرفة المعظمة مكة مذكورة في كتب أنبياء الله، مقصودة منهم بالحج؛ إلا أن الحسد أعماهم؛ فطمثوا ذكرها وأرادوا أن يحصروا الأمر فيهم وفي أممهم، لكن الله غالب على أمره؛ فبعث الله نبيه في أخريات الزمان من العرب، وقد كان اليهود قصدوا المدينة بناءً على معرفتهم بأوصاف مهاجره: أن النبي الخاتم يبعث في أرض ذات حِراء؛ فجاءت طائفة منهم واستوطنوا المدينة؛ لأنها رأوا انطباق الصفات عليها يأملون أن يبعث النبي الخاتم منهم، وكانوا يستفتحون على العرب إذا وقع بينهم وبينهم خصومة، كانوا يقولون: للأوس والخزرج لقد أظلنا زمان نبي نقاتلكم معه؛ فيفتح علينا، قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٨٩]، كل هذه الدلائل تدل على أن أهل الكتاب يعلمون أن لهذه المنطقة، ولهذه الجزيرة، ولمكة شرَّفها الله مترلة خاصة.

قوله: وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة: هذه كما يقال في لغة العصر: السيرة الذاتية لعمر نبينا صلى الله عليه وسلم: ثلاث وستون سنة: أربعون سنة قبل البعثة، وهذا من حكمة الله البالغة أن الله سبحانه وتعالى لم يترل عليه الوحي إلا أن بلغ أشده؛ لأن الأربعين هي سن كمال الرجولة والقوة البدنية والعقلية؛ ولذا يقول الله عز وجل: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: ١٥]؛ فسن الأربعين سن مميزة، وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم طوال هذه الأربعين سنة على أنبل الصفات، وأكرم الطباع، وكان مضرب المثل في قومه في الأمانة والصدق، حتى إنهم كانوا يلقبونه بالأمين، ولما تنازعوا عندما أعادوا بناء البيت من يضع الحجر في موضعه قالوا: نحكم أول داخل؛ فكان أول داخل نبينا صلى الله عليه وسلم؛ فصاحوا الأمين الأمين، فأقبل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، وبسط ثوبًا ووضع الحجر فيه وأمر أحياء قريش الأربعة أن يمسك كل منهم بطرف ثم احتملوه ثم أخذه بيده الشريفة فوضعه في موضعه؛ فقد كان له الذكر الحسن في الأمانة، وكان الناس يضعون أماناتهم عنده لما يعلمون من صدقه وحفظه، ولم يُدعى إلى محمدة وحلف في الجاهلية فيه نصرة للمظلوم وفكاك للعاني إلا ودخل فيه صلى الله عليه وسلم إلى أن أتم الله عليه نعمته وكان صلى الله عليه وسلم؛ لصحة فطرته وسلامة قلبه يتأمل ويبحث عن الحق؛ حتى إنه صار يتحنث - أي يتعبد- الليالي ذات العدد في غار حراء قبل أن يأتيه

(١) المستدرك للحاكم(٤١٦٩)، الطبري في المعجم الكبير (١٢٢٨٣)، الأوسط (٥٤٠٧)، قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره.

الوحي؛ لأنه يدرك أن ما عليه قومه باطل؛ ولهذا لم يسجد لصنم قط، ولم يشرب خمرًا قط في الجاهلية، فكان يأوي إلى غار حراء، ويتأمل في هذا الكون إلى أن أذن الله تعالى له بهذا الفتح العظيم؛ فلما أن بلغ الأربعين أتاه الوحي من الله عز وجل، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: " مَا أَنَا بِقَارِئٍ "، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} "فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي " فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ"، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ)(١).

انظر للمرأة العاقلة قالت: والله لا يخزيك الله أبدًا؛ فاستدلت بهذه القرائن على أن الله تعالى لا يمكن أن يخذل من هذه صفته، وكانت مطمئنة، وأرادت أن تثبت ذلك بذهابها إلى ورقة بن نوفل الذي كان عنده علم من الكتاب، أو كما قال، وطمأنه وثبته ثم بعد ذلك استمر الوحي كما نعلم في السيرة، مكث النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر سنة في مكة يدعو إلى الله سرًا في بداية الأمر، ثم جهرًا وهذا من الحكمة في الدعوة أنه بدأ بالدعوة السرية لكي يستكثر من الأتباع ويكوّن قاعدة معه، ثم بعد أن تكون معه جملة من السابقين إلى الإسلام على رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ جهر بالدعوة بعد أن دخل فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) صحيح البخاري (٣).

وحمزة بن عبد المطلب؛ فخرجا صفين يطوفان بالبيت يتحديان قريشًا؛ فكانت مدة الفترة المكية ثلاث عشرة سنة، ثم أذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة؛ فهاجر إلى المدينة، وبقي فيها عشر سنين: هذا مجمل حياة نبينا صلى الله عليه وسلم.